نموذج التصريح الشرفي
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(ملحق القرار رقم 1082 المؤرخ في 27 ديسمبر 2020 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها)

أنا الممضي أسفله،

السيد (ة) ...محمد فتيحة..... ، **الصفة :** طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 406472216 الصادرة عن

مستغانم ماسرى بتاريخ 25/07/2023

المسجل(ة) بكلية الأدب العربي و الفنون قسم الدراسات اللغوية والأدبية.

والمكلف بإنجاز. أعمال بحث **(مذكرة التخرج (ماستر))**

عنوانها. مظاهر التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة.

"حق الجنون في بلد القانون" لآية حفظ الله أنموذجا.

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: .....

توقيع المعني(ة)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Abdelhamid Ibn Badis
Mostaganem
Faculty of Arabic Literature And Arts

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون

استِمَارَة إيدَاع مُذَكِرَة المَاسْتَر (قِسْم الدِرَاسَات اللُّغَوِيَة وَ الأَدَبِيَة)

تَخَصّص: أدب عربي حديث ومعاصر

السَنَة الجَامِعِيَة 2025 •••2026

إِطَار خَاص بِالطَالِب(ة)

الاسم :	فتيحة
اللقب :	محمد
تاريخ و مكان الميلاد :	05/02/2002 بـ : ماسري
رقم الهاتف :	0664991772
البريد الإلكتروني:	mohamedfatiha999@gmail.com

عُنْوَان المُذَكِّرَة: مظاهر التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة "حق الجنون في بلد القانون" لآية حفظ أنموذجا.

إِطَار خَاص بِالأُسْتَاذ(ة) المُشْرِف(ة) عَلَى المُذَكِرَة

اسم و لقب الأستاذ (ة) المشرف(ة) على المذ	
رتبة الأستاذ(ة) المشرف(ة) :	أستاذ محاضر "أ"
إمضاء الأستاذ(ة) المشرف(ة)	

إِمْضَاء رَئِيس قِسْم الدِرَاسَات اللُّغَوِيَة وَ الأَدَبِيَة

Faculty Of Arabic Literature And Arts - Mostaganem -
PO.Box 188 Mostaganem 27000 Algérie Tél : + 213 (0) 45 42 11 01. Fax : + 213 (0) 45 42 11 01
WebSite : www.univ-mosta.dz/flaa Email : web.flaa@univ-mosta.dz

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــــامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
كليـــــة الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصّص: أدب عربي حديث ومعاصر

مظاهر التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة

"حق الجنون في بلد القانون " آية حفظ الله نمودجا

إعداد الطّالبة:
محمد فتيحة

تحت إشراف:
د. خضار سماحية

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	المؤسسة	الصفة
بحوص نوال	جامعة عبد الحميد بن باديس/مستغانم	رئيسا
خضار سماحية	جامعة عبد الحميد بن باديس/مستغانم	مشرفا ومقررا
بويش منصور	جامعة عبد الحميد بن باديس/مستغانم	مناقشا

الموسم الجامعي: 2026/2025



شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على توفيقه لي لإتمام هذا العمل.

اتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الاستاذة المشرفة التي لم تبخل عليا بتوجيهاتها القيمة طيلة فترة انجاز هذه المذكرة.

كما اتوجه بالشكر الخالص إلى اعضاء لجنة المناقشة الموقرة على تفضلهم بقبول مناقشة هذا العمل وتقييمه.

ولا يفوتني ان اشكر كل اساتذة قسم الدراسات اللغوية والادبية على ما قدموه لنا من علم ومعرفة طوال مسارنا الدراسي.

ودون أن أنسى توأم روحي ورفيقة دربي صديقتي الحبيبة التي رافقتني طوال مسيرتي

والشكر موصول إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة.

إهداء

بكل فخر واعتزاز...

أهدي ثمرة جهدي إلى منارة دربي إلى رمز الحنان والعطاء التي سهرت الليالي ودعت لي في الخفاء.

أمي الحبيبة

إلى من أحمل اسمه إلى من غاب جسده وبقي أثره الطيب في قلبي ...إلى روحك الطاهرة أبي الغالي رحمك الله لطالما تمنيت أن تكون معي في هذه اللحظة.

إلى اخوتي وعائلتي الحبيبة كنتم سندي الدائم.

إلى رفيقة دربي حبيبة قلبي صديقتي...

إلى استاذتي المشرفة على كل ما قدمته لي من توجيه ودعم.

مقدمة

مقدمة

تعد الرواية من أحدث وأبرز الفنون النثرية وأكثرها مرونة وقدرة على استيعاب التحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية، نظراً لقربها الشديد من نبض المجتمع وهموم الإنسان، وقد شهد فن الرواية تطوراً مذهلاً وسريعاً جعلها تتجاوز قوالبها الكلاسيكية والتقليدية لتلتحق بركب الحداثة والمعاصرة.

وبرز التجريب كواحدة من أهم آليات التحديث والتجديد في الخطاب الروائي العربي والجزائري على حد سواء، حيث أصبح رؤية إبداعية واعية تسعى إلى إعادة تشكيل البنية السردية، واللغة، والمضمون، بما يتلاءم مع تعقيدات العصر الحديث وأزماته.

ولا شك أن الرواية الجزائرية المعاصرة قد انخرطت بقوة في هذا الأفق التجريبي، محاولةً التحرر من الأنماط السائدة والارتكاسات الأيديولوجية الكلاسيكية، ليبرز جيل جديد من الروائيين والروائيات الذين يحملون هاجساً حداثياً يرفض الجمود

تعد رواية حق الجنون في بلد القانون للكاتبة آية حفظ الله تجربة روائية معاصرة وفتية كما تمثل نموذجاً حياً لانفتاح الرواية الجزائرية على عوالم دلالية وفنية جديدة، تعالج من خلالها قضايا الذات والمجتمع والسلطة بقوالب سردية غير تقليدية تثير التساؤل والدهشة، والمنطلق :

-ما مفهوم التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة، وما علاقته بمفاهيم الحداثة والتجاوز؟

تتفرع عن الاشكالية الأسئلة الآتية:

-كيف تجلت مظاهر التجريب وآلياته الفنية والجمالية في رواية حق الجنون في بلد القانون لآية حفظ الله؟

-إلى أي مدى نجحت الكاتبة في خلخلة الأشكال التقليدية على مستوى البنية، السرد، واللغة لتعكس واقعاً معقداً ومأزوماً؟

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والنقدية من أبرزها:

-تأطير مفهوم التجريب والحداثة نظرياً في مدونة الرواية العربية والجزائرية المعاصرة.

-الكشف عن التقنيات السردية والجمالية المستحدثة التي وظفتها الروائية آية حفظ الله في نصها.

-تحليل مظاهر التجريب التطبيقية داخل المتن الروائي (سواء على مستوى البناء، الشخصيات، أو التشكيل اللغوي).

-إبراز كيفية توظيف الجنون كعنصر سردي وفلسفي لمساءلة القانون والواقع الاجتماعي والسياسي.

نظراً لطبيعة الموضوع التي تتطلب تحليلاً نصياً واكباً للآليات الجمالية والفنية، فقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره المنهج الأنسب لوصف الظاهرة التجريبية وتحليل بنيات النص الروائي، مع الاستعانة ببعض الإجراءات المنهجية البنيوية كلما دعت الحاجة إلى ذلك، من أجل تفكيك عناصر الخطاب الروائي (الزمن، المكان، الشخصيات، واللغة) وإبراز دلالاتها العميقة في رواية حق الجنون في بلد القانون.

اعتمدنا على دراسات سابقة ألا و هي :

مقال ملامح التجريب في الرواية الجزائرية –نماذج مختارة (فاطمة هرمة)

مقال أكاديمي محكم منشور في مجلة مدارات في اللغة والأدب (جامعة تبسة، الجزائر، 2018).

سعت الباحثة من خلال هذا المقال إلى رصد واقع الرواية الجزائرية ومفهوم التجريب (لغة واصطلاحاً)، وتتبع ملامحه الكبرى في النصوص الروائية عبر مستويات متعددة: بنية الزمن، بنية الشخصية، التشكيل اللغوي، والمتغير السردي (توظيف التراث)، متخذة من عدة متون روائية نماذج لها (مثل: مملكة الزيوان لحاج أحمد الصديق، نوار اللوز لواسيني الأعرج، ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة).

خلصت الدراسة إلى أن التجريب في النص الروائي الجزائري لم يعد ترفاً فكرياً، بل تجاوز خطية الزمن التقليدي، وأسس لشخصيات غير مستقرة تبحث عن الخلاص، فضلاً عن اعتماد اللغة الشعرية والانزياحات الدلالية وحضور العامية والأمثال الشعبية.

تتقاطع هذه الدراسة مع بحثنا الحالي في كونها تقدم إطاراً نظرياً ومفاهيمياً متيناً لتجليات التجريب (زمنياً، سردياً، ولغوياً).

غير أن دراستنا تختلف في كونها تطبق هذه الأدوات والمفاهيم على نص معاصر حديث نسبياً وهو حق الجنون في بلد القانون للكاتبة آية حفظ الله، مما يفتح أفقاً جديداً لقراءة الجيل الروائي الجديد وهموم المرأة والواقع المعاصر.

مقال مظاهر التجريب والحداثة في الرواية الجزائرية –رواية 'البيت الأندلسي' لواسيني الأعرج نموذجا (غنية بوبيدي)

مقال أكاديمي منشور في أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية (جامعة باتنة 1، 2020).

ناقشت الباحثة إشكالية التجريب والحداثة بوصفهما وجوين لعملة واحدة، تهدفان إلى تجاوز الشكل التقليدي للرواية نحو أفق فني جديد يواكب روح العصر. وطبقت ذلك تحليلياً على رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج من خلال رصد مظاهر التجريب على مستوى: العنوان، الموضوع والإيديولوجيا، المكان، والشخصيات.

أثبتت الدراسة أن التجريب الروائي هو إبداع وخلق لعوالم جديدة تستجيب لتحولات الواقع، وأن الروائي المعاصر كسر قوالب التقليد عبر تكثيف دلالات العناوين الفرعية، ومنح المكان والذات الشخصوية أبعاداً عميقة وفاعلة.

تُعد هذه الدراسة نموذجاً إجرائياً ممتازاً في كيفية مقاربة النصوص الروائية الحديثة وفق مقولات التجريب والحداثة. ونستفيد منها في بحثنا عن آية حفظ الله في الآلية المنهجية المتبعة لتشريح

المتن الروائي (العنوان، المكان، الشخصيات، النسق الإيديولوجي)، مع فارق المتن المدروس الذي يعالج قضايا مغايرة في رواية حق الجنون في بلد القانون.

بالإضافة إلى المقالات السابقة، استندت هذه المذكرة إلى مجموعة من الدراسات النقدية الرائدة التي شكلت مرجعيات أساسية في حقل التنظير للتجريب السردي، ومنها:

دراسة بوشوشة بن جمعة: التجريب وارتحالت السرد الروائي المغاربي (2003م)، والتي فصلت القول في كيفية خرق السائد السردي والتحرر من ربقة الأشكال النمطية الكلاسيكية.

دراسة عبد القادر بن سالم: مكونات السرد القصصي الجزائري الجديد –بحث في التجريب وعنف الخطاب عند جيل الثمانينات (2002م)، والتي رصدت تحولات الخطاب الروائي مع الأجيال الجديدة.

كتب عبد المالك مرتاض في نظرية الرواية: والتي ركزت على أهمية بنية الشخصية والمكان باعتبارهما المحورين الأساسيين اللذين تنهض عليهما البنية السردية التجريبية.

الفصل الأول

التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة

تمهيد

شهدت الرواية الجزائرية المعاصرة حراكاً دؤوباً نحو التحديث الفني والبنيوي، مستلهمةً مقولات التجريب لتفكيك الأطر التقليدية للسرد وعليه يسعى هذا الفصل إلى تأصيل مفهوم التجريب وتجلياته النظرية والتطبيقية

مفهوم التجريب لغة واصطلاحا

يقتضي السعي نحو مقاربة مصطلح التجريب الوقوف عند جذوره اللغوية والدلالات المعجمية التي أسست له، قبل الانتقال إلى أبعاده الاصطلاحية والنقدية وذلك لضبط المصطلح قانونياً وأدبياً.

أولا: التجريب لغة

تتحدد الدلالة المعجمية لمفهوم التجريب بالرجوع إلى المعاجم العربية لضبط الأصل الثلاثي للفعل (جرب).

أ –الجذر اللغوي

يُحيل التجريب في اللغة العربية إلى مادة (ج–ر–ب)، إذ يُقال: جَرَبَ الأمرَ أو الشخصَ أي اختبره وعرفه. وفي المعاجم العربية الاساسية، مثل لسان العرب لابن منظور، نجد أن التجربة تعني الاختبار والمعرفة الناشئة عن ممارسة الأمور ومعايشتها[1]؛ فالرجل المجرَّب هو من بلى الأمور وأحكمته

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، 2005، مادة (جرب)، ص 110.

وعليه فإن المفهوم اللغوي للتجريب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفعلي المحاولة والاختبار، وهو ما يعكس –في البعد الادبي–سعي المبدع نحو ارتياد مناطق غير مألوفة، واختبار طاقات جديدة في الكتابة والسرد، بعيداً عن الاطمئنان إلى الجاهز والثابت من الاشكال التعبيرية السابقة.

ب–التجريب اصطلاحاً

انتقل مفهوم التجريب من حقول العلوم التجريبية (كالكيمياء والبيولوجيا عند دارود وكلود برنار) ليلج حقول الادب والفن بفضل بوابات الحداثة وما بعدها [1] ويُعرّف النقد الأدبي الحديث التجريب بأنه: «موقف فكري وجمالي رافض للمألوف والسائد، يسعى من خلاله المبدع إلى خلخلة القوالب الفنية التقليدية وابتكار أشكال تعبيرية جديدة قادرة على استيعاب تحولات الواقع»[2]

ومن الناحية المنهجية نرى أن التجريب يمنح النص طاقة تأويلية مفتوحة [3]، وهو ما يعزز دور القارئ كشريك أساسي في عملية بناء المعنى النصي.

يُجمع النقاد على أن التجريب الروائي يمثل الروح الوثابة المتمردة على الأنظمة السردية[4] إذ يطال مختلف مكونات البنية الروائية (الشخصية، الزمن، المكان، اللغة، والتبؤات البصرية)، محطماً بذلك التراتبية الكلاسيكية التي سادت طويلا في الرواية التقليدية.

[1] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1993، ص 34.
[2] صلاح فضل، لذة التجريب الروائي، أبلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، ط1، 2005، ص 03.
[3] عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1998، ص 52.
[4] واسيني الاعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 18.

ويرى بعض الباحثين أن التجريب في الرواية هو تجسيد لوعي أزمة[1] يجعل النص الروائي التجريبي متورطاً جدلياً مع قضايا مجتمعه، حاملا الاسئلة الوجودية والتاريخية

ب-1 التجريب في الفلسفة والعلوم الإنسانية

ارتبط التجريب اصطلاحاً في أصوله الأولى بالعلوم التجريبية عند كلود برنارد وتشارلز داروين، حيث أضحى أداة للتحقق من فرضيات الواقع وتحرير المعرفة من سلطة النظريات القديمة وقد

[1] بوشوشة بن جمعة، التجريب وارتعاشات السرد الروائي المغاربي، المطبعة المغاربية، تونس، ط1، 2003، ص 07.

استثمر إميل زولا هذا المفهوم لاحقاً لينقله إلى حقل الرواية، داعياً إلى إخضاع النص السردي لمعايير الملاحظة والموضوعية [1]

شهد مصطلح التجريب انعطافة كبرى حين انتقل من حقل العلوم البحتة (الطبيعة والطب) إلى حقل الأدب والفن، ويرجع الفضل في ذلك إلى الفيلسوف والروائي الفرنسي إميل زولا (Émile Zola)في كتابه الشهير الرواية التجريبية (1880)، تأثراً بمناهج العالم كلود برنارد وعالم الحيوان تشارلز داروين [2] فقد أراد زولا تطبيق المنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجربة واختبار الفرضيات على النص الروائي، بحيث تصبح الرواية ثمراً لتجربة شعورية ومعرفية تفحص تفاعلات الإنسان مع بيئته.

وفي النقد الحديث تجاوز التجريب المعنى الوضعي الضيق ليصبح مرادفاً لكل ثورة على القوالب الجاهزة، ويعرفه الناقد صلاح فضل بأنه قرين الإبداع، ألنه يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني، متجاوزاً المألوف والسائد [3] ويؤكد الناقد محمد برادة أن التجريب ليس خروجاً اعتباطياً، بل هو استجابة واعية لمعرفة الأسس النظرية لتجارب الآخرين وصياغتها بوعي فني جديد يوافق سياق العصر [4] ونرى أن التجريب في الأدب هو محاولة مستمرة لتجديد قنوات التواصل بين النص والواقع، وهو الدليل القاطع على حيوية الأجناس الادبية ورفضها للجمود والتحجر.

[1] برادة محمد، الرواية العربية ورهان التجديد، دار الصدى، الشارقة، 2011، ص 48
[2] إميل زولا، الرواية التجريبية، ترجمة وتقديم نقدي في الفكر الحديث، دار الكتاب، القاهرة، ص 45.
[3] صلاح فضل، نفس المرجع السابق، ص 03.
[4] محمد أمصور، خوائط التجريب الروائي، مطبعة أنفوبرانت، فاس، ط1، 1999، ص 24.

ب-2 التجريب في الخطاب الروائي الحديث

يتحدد التجريب نقداً واصطلاحاً بأنه تجاوز المألوف وخرق السائد، والسعي المستمر نحو الابتكار في الشكل والمضمون معاً[1] وهو موقف فكري وجمعي واعٍ يرفض القوالب الجاهزة ويعيد صياغة وعي الذات تجاه العالم وفق أطر سردية هجينة ومفتوحة [2]

وخلافاً لما يطرحه بعض النقاد من أن التجريب يؤدي أحياناً إلى الغموض والنخبوية، أرى أن التجريب الواعي والمنضبط بشروط النص الأدبي يشكل رافعة حقيقية لتطوير الذوق الجمالي، شريطة ألا يتحول إلى تجريب مجاني يخاصم القارئ، بل ينبغي أن يظل تجريباً معقولاً يؤسس لعلاقة تفاعلية بين النص ومتلقيه، بما يضمن إنتاج دلالة أعمق وأكثر ملامسة لروح العصر.

ونعتقد أن التجريب الروائي الحق هو الذي يقيم توازناً دقيقاً بين هدم القديم وبناء الجديد؛ فالرواية التجريبية الناجحة هي التي ال تفقد تواصلها مع القارئ، بل تمنحه مفاتيح جديدة لقراءة العالم بعين فاحصة وناقدة، بعيداً عن الغموض المجاني الذي قد يفقد النص جماليته ووظيفته التواصلية.

تطورت الدلالة اللغوية لتشمل كل ممارسة تنطوي على محاولة الفحص والمقارنة والتأمل، فالإنسان المجرب هو الذي رآكم رصيداً من الاختبارات التي تجعله قادراً على إصدار الاحكام

[1] صلاح فضل، نفس المرجع السابق، ص 3
[2] يقطين سعيد، القراءة والتجربة، حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص 24

بدقة أكبر، وهذه الممارسة الاختبارية هي النواة الأولى التي انتقلت تدريجياً لتشمل مجالات المعرفة البشرية المختلفة، لا سيما العلمية منها والفلسفية، ومن ثَمّ الأدبية والإبداعية [1]

[1] رشا أبو شنب، التجريب في روايات واسيني الأعرف، مجلة الآداب واللغات، جامعة المسيلة، مجلد 2018، ع 5، ص 170.

2 /مفهوم التجريب الروائي

يشهد المشهد السردي المعاصر تحولات جمالية وفكرية عميقة، جعلت من الرواية جنساً أدبياً مهيمناً وقابلاً للتشكل والتجريب.

أولا: التأصيل الدلالي والمفهومي للتجريب الروائي

يتطلب استكشاف مفهوم التجريب الروائي الوقوف أولاً عند دلالاته اللغوية والاصطلاحية، وصولاً إلى تجلياته الفنية التي غيّرت وجه الكتابة السردية.

أ- مفهوم التجريب الروائي

ارتبط مفهوم التجريب في بداياته العلمية والفلسفية بأسماء بارزة مثل كلود برنارد في الطب التجريبي، قبل أن ينتقل إلى الأدب بفضل إميل زولا الذي نادى بـ الرواية التجريبية محاولاً تطبيق المنهج العلمي القائم على الملاحظة والاختبار في كتابة النص الأدبي [1] وقد تطور هذا المفهوم لاحقاً في الرواية الغربية الحديثة مع كتاب مثل جيمس جويس ووليام فوكنر، اللذين كسرا القواعد التقليدية للزمن والسرد.

أما في المشهد الروائي العربي والجزائري فقد جاء التجريب كاستجابة حتمية للأزمات التاريخية والسياسية، لا سيما بعد نكسة 1967 وما تلاها من تحولات مجتمعية عميقة. وقد

[1] فهمي أحمد فوزي، التجريب وتمايز الثقافات، مطابع المجلس الأعلى للآثار، مصر، 1998، ص أ

سعى الروائيون العرب والجزائريون إلى التحرر من سلطة القوالب الكلاسيكية، فبرزت أسماء رائدة جعلت من التجريب خياراً جمالياً وفكرياً لا بد منه لمواكبة تعقيدات الواقع المعاصر [1]

[11] العلوي موالي مروان وآخرون، سؤال التجريب في الرواية العربية: من متاهة العنوان إلى متاهة التأويل، أعمال المؤتمر العربي الثاني للرواية العربية، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، 2018، ص 53

ب-آليات التجريب

يتجسد التجريب الروائي عملياً من خلال آليات فنية وتقنية تمس بنية النص الأساسية؛ لذا تُعد بنية الزمن والحدث من أكثر العناصر التي تعرضت للتفكيك في الرواية التجريبية المعاصرة

لم يعد الزمن في الرواية التجريبية يسير وفق خط مستقيم وبطريقة كرونولوجية رتيبة، بل أضحى زمناً داخلياً متحولاً يتداخل فيه الماضي بالحاضر والمستقبل عبر تقنيات الاسترجاع والاستباق ويهدف هذا التلاعب الزمني إلى عكس الاضطرابات النفسية العميقة التي تعيشها الشخصيات في مواجهة واقعها المعقد [1]

إلى جانب الزمن تحول الحدث في الرواية تحول إلى حدث رمزي ومحمل بدلالات فلسفية وفانتازية، وجعل هذا التحول الأحداث تتسم بالغرابة والتشويق، وتدفع المتلقي إلى تجاوز القراءة السطحية نحو تفكيك الرموز الكامنة خلف الظاهر الحكائي.

ج-التجريب على مستوى التشكيل اللغوي والخطاب

تسعى الرواية التجريبية إلى شحن اللغة بكثافة شعرية عالية وبانزياحات أسلوبية تخرق المألوف اللغوي، فالكلمات تفقد دلالاتها القاموسية البسيطة لتكتسب أبعاداً مجازية ورمزية جديدة، مما يضفي على النص طابعاً تداولياً منفتحاً على تأويلات لا حصر لها، ويجعل القارئ شريكاً حقيقياً في إنتاج المعنى [2]

[1] هرمة فاطمة، ملامح التجريب في الرواية الجزائرية -نماذج مختارة، جلة مدارات في اللغة والأدب. الصادرة عن مركز مدارات للدراسات والأبحاث ن المجلد 01، العدد 01، جامعة غرداية، الجزائر، 2018، ص 274

[2] حالب نور الهدى، التجريب الروائي في الرواية النسوية الجزائرية، حوليات الآداب واللغات: أكاديمية علمية-تاريخية-محكمة، المجلد 5، عدد 11 (ماي 2018)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة (الجزائر)، ص 170.

من أبرز مسميات التجريب اللغوي والسردي في الرواية المعاصرة هو ظاهرة تعدد الأصوات حيث يفسح المجال أمام أصوات متعدّدة ومتباينة لتعبر عن وجهات نظر مختلفة داخل النص الواحد، مما يعكس تعددية الواقع ويقوض الأحادية الصوتية التي عرفتها الرواية التقليدية [1]

3 / مفهوم الرواية لغة و اصطلاحا ومفهوم الرواية الجزائرية المعاصرة وتطورها

أولا: مفهوم الرواية لغة واصطلاحا

لا يمكن مقاربة أي جنس أدبي فهماً وتحليلا دون الإلمام بجذوره الدلالية واصطلاحاته النقدية؛ فالرواية باعتبارها جنساً مرناً ومتسعا، استأثرت باهتمام اللغويين والنقاد على حد سواء، مما يستوجب جلاء معناها لغة واصطلاحا.

أ –المفهوم اللغوي للرواية

تعود مادة (ر وي) في المعاجم العربية إلى معانٍ عدة تدور حول النقل والحمل والإرواء. فقد ورد في لسان العرب البن منظور أن روى الحديث والشعر رواية: أي حمله ونقله، فهو راوٍ [2]كما يقال روى البعير الماء: حمله ونقله، وروى الزرع أي سقاه [3] وعليه فإن المفهوم اللغوي للرواية يحمل في طياته معنى الاستقاء والنقل، مما يربطها ابتداءً بالشفاهية وحمل الأخبار وتناقلها عبر الأجيال قبل أن تستقر بوصفها جنساً كتابياً تخيلياً منضبطاً ببنى فنية خاصة.

[1] هرمة فاطمة، نفس المرجع السابق، ص 277

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، 2005، مادة (روي)، ص 142.
[3] ابن منظور، نفس المرجع، ص 143.

ب-المفهوم الاصطلاحي للرواية

أما في الاصطلاح النقدي الحديث، فتُعرّف الرواية بأنها فن نثري تخيلي طويل نسبياً، يصور شخصيات واقعية أو متخيلة، ويقدم أحداثاً متشابكة عبر زمن ومكان محددين [1] ويرى الناقد إدوار الخراط أن الرواية هي الشكل الأكثر رحابة وقدرة على استيعاب تناقضات الواقع والتعبير عن أزمات الذات الإنسانية في صراعها المستمر مع محيطها [2] ومن وجهة نظرنا النقدية، نرى أن الرواية تتجاوز مجرد الحكي التقليدي لتصبح وثيقة أنثروبولوجية وفكرية قادرة على تفكيك البنى الاجتماعية والسياسية بطريقة تخييلية فنية متفردة.

ثانيا: مفهوم الرواية الجزائرية المعاصرة وتطورها التاريخي

مرت الرواية الجزائرية بمسار تاريخي وإبداعي متشعب، ارتبط وثيقاً بتحولات الهوية والسياسة والمجتمع، بدءاً من مخاضات النشأة تحت وطأة الاستعمار، مروراً بمرحلة البناء الوطني، وصولاً إلى التجريب والتأصيل المعاصر.

أ -مفهوم الرواية الجزائرية المعاصرة

تُعرّف الرواية الجزائرية المعاصرة بأنها ذلك المنتج السردي الناطق باللغة العربية (أو الفرنسية في محطات تاريخية معينة)، والذي يواكب التحولات الكبرى التي عرفها المجتمع الجزائري منذ عقود ما بعد الاستقلال، وتحديداً مرحلة الأزمة والتجريب في تسعينيات القرن الماضي وما بعدها، ويرى الباحث واسيني الأعرج أن هذه الرواية تتميز بانخراطها العضوي في

[1] مصطفى الصاوي الجويني، في الأدب العالمي، القصة والرواية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1959، ص 25.
[2] إدوار الخراط، الرواية العربية واقع وآفاق، دار ابن رشد، بيروت، 1981، ص 20.

قضايا الإنسان والوطن، عاكسةً هواجس الذاكرة والتاريخ بجرأة أسلوبية ترفض القوالب الجاهزة [1]

ب-محطات تطور الرواية الجزائرية

تمر الرواية الجزائرية المعاصرة على محطات أساسية:

مرحلة التأسيس والنشأة

اتسمت بجهود ريادية عبر نصوص بكر (مثل أعمال أحمد رضا حوحو ومحمد ديب ومولود معمري)، غلبت عليها الوظيفة التوثيقية والنضالية دفاعاً عن الهوية [2]

مرحلة البناء الوطني والالتزام (السبعينيات)

تميزت ببروز روايات تتبنى الفكر الواقعي الاشتراكي وتواكب الثورة الزراعية (مثل روايات عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار)، مع تغليب البعد المضموني [3]

مرحلة التجريب والتسعينيات

مع اندلاع أزمة العشرية السوداء وتحولات التسعينات، انفرط عقد السرد الكلاسيكي لتبرز رواية الأزمة وسرديات العنف، متسلحة بآليات تجريبية عميقة كسرت سلطة السارد الأوحد وانفتحت على تعدد الأصوات [4]

[1] واسيني الاعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 45.
[2] محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الجزائر، 1983، ص 91.
[3] حفيظة مخلوف، الرواية الجزائرية من الثورة إلى العنف، مجلة المعيار، جامعة موالي الطاهر، الجزائر، ع 10، 2014، ص 30
[4] عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث(1830-1974) ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974، ص 89.

مـن خـلال تتبعنـا المفـاهيمي والتـاريخي لجـنس الروايـة، نعتقـد بصـفتنا بـاحثين أن مصـطلح الرواية المعاصرة في السياق الجزائري ليس مجرد توصيف زمني، بل هو مصطلح قانوني

ونقدي يحمل شحنة ثورية وتجريبية تجاوزت حدود الإمتاع الفسوي إلى حدود المساءلة

المعرفية. فالرواية الجزائرية استطاعت بحق أن تتحول من مجرد صدى للواقع إلى فاعلة أساسية في صناعة الوعي وخلخلة الثوابت المفروضة.

4 / أهمية التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة

تتبوأ الرواية الجزائرية المعاصرة مكانة بارزة ضمن خريطة السرد العربي، نظراً لما أبانته من قدرة فائقة على التطور والاشتباك الخلاق مع أزمات الواقع وتحولاته وإذا كانت المحطات السابقة قد وقفت عند التأصيل المفاهيمي والتاريخي للجنس الروائي وللتجريب، فإن هذا الفصل يعمد إلى تفكيك القيمة الجمالية والمعرفية لتلك الممارسات النصية، متجليا أهمية التجريب باعتباره ضرورة إبداعية وحتمية جمالية تفرضها متطلبات الحداثة السردية.

أولا: أهمية التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة

تتأتى أهمية التجريب في الرواية الجزائرية من قدرته على هدم النماذج المألوفة وبعث دلالات جديدة تكفل للنص حيويته وقدرته على المساءلة والنقد.

أ –الأبعاد الجمالية والفنية للتجريب

يتكئ التجريب على تقنيات جمالية وفنية تزيح الغبار عن الأشكال الميتة، مانحةً النص الروائي أبعاداً استنطاقية تتجاوز التقرير السطحي إلى التكثيف والإيحاء والانزياح الدلالي.

أ–1 قوالب السرد

ساهم التجريب في تحرير الرواية الجزائرية من أسر القوالب الكلاسيكية الأحادية التي تعتمد على سرد خطي مسطح، وقد لاحظ الناقد عبد الملك مرتاض أن التجديد السردي يعيد الاعتبار

للطاقات الكامنة في اللغة العربية، جاعلاً من البنية السردية كائناً حياً يتشكل عبر تداخل الأزمنة وتشظي المكان [1] ومن وجهة نظرنا نرى أن هذه الأهمية تكمن في كون التجريب يمنح المبدع حرية مطلقة في بناء عوالم افتراضية توازي الواقع المعيش دون أن تقع في فخ التقريرية السطحية.

أ-2 إثراء البصري واللساني في النص

تتجلى أهمية التجريب أيضاً في إثراء الفضاء البصري للنص (عبر العتبات، الغلاف، تقنيات التشكيل المطبعي والبياض)، والتشكيل اللساني (عبر التعدد اللغوي)، ويؤكد الباحث حميد لحمداني أن انفتاح الرواية على هذه الآليات يعمق من شعريتها ويضع القارئ في قلب العملية الإبداعية شريكاً في إنتاج المعنى [2]

ب-الأبعاد المعرفية والايديولوجية للتجريب

ينفصل الجمالي عن المعرفي في النص التجريبي؛ إذ يمثل التجريب رؤية للعالم وموقفاً نقدياً من السلطة والتاريخ والمجتمع، مما يمنحه أبعاداً إيديولوجية ومعرفية عميقة.

ب-1 مساءلة التاريخ

تذهب الباحثة آمنة بلعلي إلى أن التجريب السردي في الرواية الجزائرية جاء ليعكس قلق الهوية وصدمة الواقع، متخذاً من تقنيات التناص والاسترجاع وسيلة لرفض التنميط التاريخي [3]

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 52.
[2] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991، ص 63.
[3] آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية، من المتماثل إلى المختلف، دار الاختلاف، الجزائر، 2011، ص 77.

ب-2 التعبير عن أزمات الواقع المعاصر

أثبت التجريب أهميته البالغة في تمثيل الفجائع الكبرى، مثل أزمة التسعينيات (العشرية السوداء)؛ إذ عجزت القوالب التقليدية عن نقل هول المأساة، فتدخلت آليات التجريب (كتيار الوعي، وتعدد الرواة، واللغة المفارقة) لتمنح الصوت للضحايا والمهمشين. وعليه، فإن التجريب يمثل الدرع المعرفي الذي يحمي الذاكرة الجماعية من النسيان والتزوير [1]

[1] واسيني الأعرج، نفس المرجع السابق، ص 103.

الفصل الثاني

مظاهر التجريب في الرواية الجزائِرية المعاصرة

حق الجنون في بلد القانون آية حفظ الله نموذجا

تمهيد:

يشهد المشهد الروائي الجزائري المعاصر تحولات مستمرة تتأتى من رغبة جادة لدى المبدعين في كسر القوالب الكلاسيكية السردية، والانفتاح على آفاق جمالية ومعرفية جديدة، ويُعد التجريب سمة بارزة تعكس قلق الروائي وتوقه الدائم للواقع وتجاوزه، وهنا تبرز رواية حق الجنون في بلد القانون للكاتبة آية حفظ الله كأحد الأعمال التي تفجّر الطاقات اللغوية والبنائية، متخذة من تقنيات التجريب أداة لتفكيك الواقع النفسي والاجتماعي.

ويهدف هذا الفصل إلى تتبع أبرز مظاهر هذا التجريب، متخذين من الرواية المذكورة أنموذجاً.

ملخص الرواية

تطرح الرواية صراعاً فلسفياً ونفسياً بين العقل والجنون، وبين الأنا والهوية في بيئة غربية قاسية (أمستردام –هولندا، وفرنسا) تجاه المهاجرين والهوية العربية، وتعكس الرواية كيف يمكن للمجتمع المنظم بقوانينه أن يحطم الإنسان ويهمش روحه، ليدفعه نحو الجنون كملجأ وحيد، وكيف يصبح البحث عن الهوية والذات رحلة مؤلمة بين الماضي والحاضر.

تبدأ القصة بشخصية كايلر (Kyler) ، وهو أستاذ ورسام هولندي من أصل عربي (أو مهتم بالعالم العربي)، يدير محلاً بسيطاً في أحد شوارع أمستردام. يلتقي صدفة بامرأة تشرد في الشارع وتوصف بالـ مجنونة (يُعرف لاحقاً أنها تُدعى آنا)، كانت تطرح أسئلة وجودية عميقة عن الهوية والمجتمع (من نحن؟ أين الأمان؟)

تتعرض آنا لحادث ويتم نقلها إلى مصحة للأمراض العقلية في فرنسا (مستشفى فيليب بينيل) تحت إشراف الطبيب سريل والأخصائية تيلدا، يقرر كايلر تتبع أثرها ومحاولة فهم سرها بعد أن تعلق بها فنياً ونفسياً، حيث تظهر لغز شخصيتها المعقدة وأشعارها التي تفيض بالحزن والوطن.

تتوالى الأحداث ويتعرف كايلر على أصدقائه كريستيان وزوجته سوري، ثم إلينا ودانيال. يبدأ البحث العميق في ماضي آنا المأساوي. يتضح تدريجياً أن آنا ليست مجرد مجنونة، بل هي ضحية لمؤامرة عائلية وتاريخية تعود لجذورها الجزائرية (من مدينة الحجار بولاية عنابة).

يكشف التحقيق أن والد آنا الحقيقي هو محمد عروس، وأن أمها هي ليديا دريد التي تآمرت على زوجها واستولت على أملاكه ووثائقه وهربت إلى أوروبا.

تظهر شخصية بول روهان (رجل أعمال نافذ وزوج ليديا لاحقاً)، والذي يلعب دوراً في كشف الحقيقة وإعطاء آنا عقار وبيت أبيها في الجزائر.

تتكشف خيانة جوزيف (الذي أحبته آنا وعمل معها أو استغلها) وتورطه في جرائم وسرقة أموال، قبل أن ينتهي به المطاف منتحراً في السجن، مصاباً بمرض الإيدز، طالباً مسامحتها.

تتجاوز آنا جزءاً كبيراً من آلامها وصدماتها النفسية بفضل دعم كايلر ومن حولها، وتتحول إلى كاتبة وروائية ناجحة تصدر سيرتها الذاتية بعنوان من أنا؟ اعترافات قدر.

يعود الجميع في النهاية (بمن فيهم آنا وكايلر وروهان) إلى الجزائر العاصمة حيث يقام حفل زفاف أسطوري يمزج بين تقاليد الوطن وجراح الماضي، لتستعيد آنا هويتها واسمها الحقيقي وتصالح ذاتها، بينما يستمر كايلر في رسالته بنشر الحكمة.

الرواية هي رحلة تطهير نفسي وعاطفي لامرأة عربية ضاعت في غياهب المنفى والجنون، لتجد نفسها عبر استعادة جذورها، في مقابل رجل هولندي (كايلر) وجد نفسه يتطهر من غربته عبر حبها والتعلق بروحه

لم تعد الرواية المعاصرة تكتفي بالحكاية التقليدية ذات البداية والوسط والنهاية، بل غدت فضاءً مفتوحاً لتعدد الأصوات، وتداخل الأزمنة، وتكسير الخطية السردية. وسنحاول هنا مقاربة هذه التجليات عبر تقنيات السرد اولا، ثم الزمن الروائي ثانيا.

2/ مظاهر التجريب في البنية السردية

أولا: تقنيات السرد

يُعتبر الانتقال المرن بين الماضي والحاضر من أبرز آليات التجريب التي تعكس اضطراب الشخصيات وتشتتها الداخلي، فالزمن في رواية حق الجنون في بلد القانون ليس زمناً خطياً بل هو زمن نفسي.

أ-تقنية الاسترجاع والاستباق

لم تعد الحبكة الروائية الحديثة تلتزم بالتعاقب الكرونولوجي (الطبيعي) للأحداث، بل أضحت تلجأ إلى آليات التَّعدي الزمني كالارتداد إلى الوراء (الاسترجاع) أو الاستشراف للمستقبل (الاستباق)، بما يخدم الحالة النفسية للشخصيات ويبرر أفعالها.

إنّ الاسترجاع يمثّل انقطاعاً في المجرى الخطي للزمن السردي، وهو عودة بالذاكرة إلى الوراء لإضاءة الحاضر وتبرير مواقف الشخصيات [1]

تلجأ الكاتبة إلى تقنيات الحفر في الذاكرة عبر الاسترجاعات المتكررة التي تعاني منها بطلة الرواية (آنا)، حيث تختلط حدود الواقع بالهلوسة؛ فنجد أن الماضي المؤلم يقتحم الحاضر، كقول الراوي مسترجعاً تفاصيل الطفولة والمأساة:

(عشت بها ببيت معزول تماماً جاهلة زماني ومكاني، إلى حين أتى ذاك اليوم الذي دوهم فيه بيتي، رجال ملثمون كرسوا جرة جدتي)[2]

[1] عبد الملك مرتاض، نفس المرجع السابق، ص 164.
[2] آية حفظ الله، حق الجنون في بلد القانون، رواية، دار كالما للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2022، ص 66

إن هذا التداخل الزمني يخدم البناء النفسي للشخصيات، ويجعل القارئ شريكاً في إعادة ترتيب الأحداث المبعثرة.

أما فيما يخص الاستباق فإن الناقد يرى فيه وسيلة لخرق أفق توقع القارئ وإثارة فضوله المعرفي، إذ يذكر مرتاض:

الاستباق هو قفزة نوعية نحو الأمام، يمارس من خلالها السرد نوعاً من النبوءة أو الاستشراف الذكي الذي يربط بين مصير الشخصية ومستقبلها المجهول [1]

فنجد الكاتبة توظف عبارات تنذر بنهايات تراجيدية، مثل تساؤلات الراوي الدائمة عن مصير البطلة واختفائها المفاجئ من المصحة، كقوله:

(فبقيت يومين بالمستشفى صفعه بها الدهر الباقي بالذاكرة فصار ينحت بكل ممرضة ملامح آنا ويلون كل شعر عكس سواد الشعور)[2]

ب-تعدد الأصوات وتعددية الرؤى السردية

تعدد الأصوات في الرواية الحديثة يلغي الهيمنة للراوي ويمنح الشخوص استقلاليتها اللغوية والأيديولوجية لتعبّر عن رؤيتها الخاصة للعالم [3]

حيث يمسك الراوي بخيوط الحكاية كلها... وتتجسد تقنية السرد الداخلي (المونولوج)... وفي هذا الصدد يشير مرتاض إلى قوة المونولوج الداخلي في تعرية الذات قائلاً:

[1] عبد الملك مرتاض، نفس المرجع السابق، ص 178
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 74
[3] عبد الملك مرتاض، نفس المرجع، ص 92

المنولوج الداخلي هو ارتداد الخطاب السردي نحو أعماق الذات، حيث تتماهى اللغة مع الهواجس النفسية واللاشعور [1]

حيث يمسك الراوي بخيوط الحكاية كلها، مطلعاً على بواطن الشخصيات وأسرارهم الخفية التي لا تبوح بها، كما يظهر في مستهل السرد حين يصف حالة التخبط التي يعيشها كلير في محله:

(قبضة بقلبي مما أرى مللت البحث عن المرسل ومللت انتظار الرسالة القادمة، رصت أمعن النظر بالعيون لعل أجد غريم ضميري المستتر)[2]

وتتجسد تقنية السرد الداخلي عندما تتولى الشخصيات (مثل آنا نفسها أو كلير) سرد معاناتهم الذاتية من منظورهم الخاص، مما يجعل القارئ ينغمس عاطفياً مع الشخصية. ويتضح ذلك جلياً في المونولوج الداخلي لبطلة الرواية وهي تبث شكواها:

(آنا: تركتني أشقى، أيا روح أبي، أرجوك اشعري، تحسيس نبيض فما عاد نبيض كما كان حديدا)[3]

ثانيا: الزمن الروائي

يُعدّ الزمن أحد أهم الأركان البنيوية التي يقوم عليها العمل الروائي، بل والوعي الإنساني قاطبة، وقد شهدت الرواية الجزائرية المعاصرة تحولات جذرية في التعاطي مع البنية الزمنية، متنصلة من الخطية الكلاسيكية لصالح تشكيلات تجريبية متطورة تعكس تشظي الواقع واضطراب الذاكرة.

[1] عبد الملك مرتاض، نفس المرجع السابق، ص 115
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 13
[3] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 93

وفي رواية (حق الجنون في بلد القانون) للكاتبة آية حفظ الله، لا يسير الزمن وفق وتيرة أفقية رتيبة، بل يتشكل عبر تداخلات نفسية وجمالية معقدة تمزج بين الاسترجاع، والوقفات الوصفية، والمفارقات الزمنية.

سنقوم هنا بمقاربة هذه التجليات الزمنية بوصفها مظهرًا تجريبياً بارزاً في البنية السردية للنص.

أ-المفارقات الزمنية واضطراب الكرونولوجيا

تتأسس الحكايات الحديثة غالباً على خرق الترتيب الكرونولوجي المألوف للأحداث، مستعينة بآليات السرد الاسترجاعي والاستباقي. ويوضح الدكتور مرتاض هذا الاضطراب الزمني بوصفه جوهر التجريب الروائي، حيث يقول:

الزمن الروائي ليس زمناً فلكياً يقاس بالدساتير والساعات، بل هو زمن فني نفسي يتمدد وينكمش تبعاً لحركة الوعي والذاكرة داخل النص [1]

أ-1 تقنية الاسترجاع السردي ودورها النفسي

يُعتبر الاسترجاع تقنية سردية محورية تتيح للراوي أو للشخصيات النفاذ إلى عمق الذاكرة لاستدعاء أحداث سابقة تؤطر الحاضر وتفسره، مكسرة بذلك الخطية الزمنية المباشرة.

أ-1-1استرجاع الطفولة والمأساة الأولى

تلجأ الكاتبة إلى تكسير الزمن الحاضر عبر استدعاءات متكررة للماضي الذي تعيش على وقعه البطلة آنا، حيث تتقاطع مشاهد اللجوء والتشرد مع ركام الذاكرة الجريحة، ومثال ذلك قولها مسترجعةً لحظات اقتحام بيتها وتدمير استقرارها:

[1] عبد الملك مرتاض، نفس المرجع السابق، ص 142

(عشت بها ببيت معزول تماماً جاهلة زماني ومكاني، إلى حين أتى ذاك اليوم الذي دوهم فيه بيتي، رجال ملثمون كسروا جرة جدتي)[1]

إن هذا التوظيف للاسترجاع لا يقف عند حدود التذكر، بل يفسر حالة الاغتراب النفسي التي تعاني منها البطلة في المنفى الأوروبي.

أ-1- 2استرجاع ذكرى الوالدين والوعود القديمة

يتجلى الاسترجاع أيضاً في استدعاء كلمات الأب والوصايا الغابرة، حيث يعود الزمن إلى الخلف ليعانق الحاضر المغترب، مما يبرر تعلق الشخصية بهويتها المهشمة. فنجد البطلة تستحضر وصية أبيها:

(أنت آنا فكوني ذات فضل على الجميع فأنت المحبوبة والمليئة بالجمال والعظمة اثبتي أناك، وأنا سأحميك) [2]

تؤكد هذه الاسترجاعات أن الذاكرة الزمنية عند آنا هي الرصيد الوحيد لمقاومة العدم ومحو الهوية.

أ-2-التسريع السردي والوقفات الزمنية

تتأتى جماليات الزمن الروائي من خلال التحكم في سرعة السرد، إما عبر الإيجاز والتلخيص (التسريع) أو عبر التوقف التام للحظات التأمل والصفاء (الوقفات).

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 66
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 32

أ-2- 1تقنية التسريع والتلخيص الزمني

تستعمل الكاتبة تقنية الإيجاز للعبور فوق سنوات طويلة من الضياع والتيه... وفي دراسته لآليات تسريع السرد، يرى مرتاض أن الخلاصة أو التلخيص يحمي النص من الرتابة، حيث يقول:

التلخيص هو أداة السرد لضغط العقود والسنوات في مساحات نصية ضيقة، بهدف القفز بالحبكة نحو اللحظات الأكثر جوهرية في مصير الشخوص [1]

ومثال ذلك إيجازها لسنوات التحول والتخبط في المهجر:

(تسعة وعشرون سنة مرت مرارة العلقم على حلقي، لم أعبر فيها أحد عن ألمي، لم يكن لي يوما أعتبره ذكرى لميلاد أو لعيد أم لفرح ومأتم) [2]

يُظهر هذا التسريع كيف يضغط السرد الزمن ليختزل عقوداً من الألم في أسطر معدودة.

أ-2-2 الوقفات الوصفية والتأملية

في المقابل تتوقف عجلة الزمن السردي أحياناً لصالح الوقفات التأملية والوصفية، حيث يتجمد الزمن الخارجي ليفسح المجال للزمن النفسي والداخلي، كوصول البطلة إلى لحظات تأمل الطبيعة والمطر في شوارع أمستردام:

[1] عبد الملك مرتاض، نفس المرجع السابق، ص 191

[2] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 131

(جلسنا ننتظر النادل لتنظير الطاولة وكأس بيرة لتنظيف أذناي، بينما اجتاحت روائح غريبة لم يسبق لي أن اشتممتها) [1]

تتيح هذه الوقفات للقارئ التقاط أنفاسه والتفاعل العاطفي مع عمق التجربة الوجودية للشخصيات.

ب-إيقاع السرد وتعدد المستويات الزمنية

يتحدد الإيقاع السردي من خلال العلاقة النمطية بين زمن الحكاية وزمن الخطاب، وتتداخل في الرواية المعاصرة مستويات زمنية متعددة تتراوح بين الزمن الواقعي والزمن النفسي المأزوم.

ب- 1-إيقاع الوقفات والتباطؤ السردي

يعتمد التباطؤ السردي على إطالة زمن الخطاب مقارنة بزمن الحكاية، وهو ما تنجزه الكاتبة عبر الحوارات المكثفة، والتأملات الفلسفية، والمناجاة الداخلية.

ب-1- 2-تباطؤ السرد عبر المونولوج الداخلي

تتأنى الكاتبة في نقل مشاعر الشخصيات عبر المونولوجات الطويلة والتداعيات الحرة للوعي، مما يوسع مساحة الزمن الداخلي ويجعله أثقل وأبطأ من الزمن الفيزيقي الخارجي. ومثال ذلك حديث كلير مع نفسه صراعاً وحيرةً:

(كان كلير بتلك اللوحة يبث ما بنفس آنا من قلق وجودي وابتعاد بذاك إلى أبعاد ميتافيزيقية آلت بها إلى غموض سرد جهل الانطلاق وإلى أين الانتهاء)[2]

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 103
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 34

يكشف هذا التباطؤ عن كثافة التوتر الفكري والنفسي المهيمن على شخصيات الرواية.

ب-1- 3-تباطؤ الزمن عبر الطقوس والمشاهد الاحتفالية

تتجسد وقفات التباطؤ السردي في مشاهد الاحتفالات والمقاهي والأماكن المغلقة التي تطيل الكاتبة في وصف تفاصيلها الدقيقة لتعكس ثقل الانتظار والاغتراب، مثل حفل الزفاف الأخير ووصف المشاهد المكانية:

(أقيم حفل الزفاف بصالة أفراح بالجزائر العاصمة، وكان من الحاضرين أصدقاء روهان وعائلاتهم إضافة إلى اثنين من أصدقاء كلير...) [1]

ب-2-تداخل الزمن الواقعي بالزمن النفسي (الاسكاتولوجي)

لا ينفصل الزمن الواقعي المعيش في الرواية عن الزمن النفسي الذي تصوغه الهواجس، حيث يذوب الفارق بين ما يقع بالفعل وما يقع في مخيلة الشخصيات المأزومة بالجنون والاغتراب.

ب-2-1 تغليب الزمن النفسي على الزمن الفيزيقي

تتعامل الشخصيات مع الزمن باعتباره كائناً ضاغطاً ومهزوماً؛ فالساعات والأيام تفقد دلالاتها الموضوعية لتصبح انعكاساً للوجع الداخلي، كما تظهر مشاعر آنا تجاه الميعاد الخطأ:

(موعد العاشرة ليلا – كم أمقته . إنه ميعاد بداية ذكرى سعيدة سرعان ما تتحول وفي كل مرة إلى أبأس لحظات حياتي) [2]

يتشكل هنا الزمن طابعاً نفسياً كابوسياً يلاحق البطلة أينما حلّت وارتحلت.

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 142
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 118

ب-2-2 الخاتمة المفتوحة واستمرارية الزمن الروائي

ينفتح الزمن في خاتمة الرواية على آفاق مستقبلية لا تعرف الانغلاق، حيث يمتد الزمن مع استمرار رحلة الوعي والبحث والكتابة:

(بعد أربع سنوات 4 أكتوبر 2021 أصبحت آنا العصامية روائية تناولت أول رواياتها تفاصيل حياتها فكانت رواية سر ذاتية...) [1]

تعكس هذه الخاتمة رؤية تجريبية تجعل الزمن الروائي ممتداً ونابضاً بالحياة خارج حدود دفتي الكتاب.

لقد أثبتت آية حفظ الله من خلال هذه المعالجة التجريبية للزمن الروائي في (حق الجنون في بلد القانون) أنها تمتلك وعياً سردياً رفيعاً، إن التخلص من الكرونولوجيا الخطية والاتجاه نحو زمن متأزم ومفتوح، ساهم بشكل مباشر في تجسيد معاناة شخصيات مقتلعة من جذورها ومحاصرة بين الذاكرة والمنفى، إن تداخل الأزمنة والوقفات الاسترجاعية لم تكن عابرة، بل جاءت ملتحمة تماماً بثيمة الجنون والقانون، مما يمنح النص بناءً زمنياً متماسكاً وجذاباً.

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 143

3/مظاهر التجريب في اللغة والشكل

تُمثل اللغة في الرواية المعاصرة الوعاء الجمالي لتجليات الرؤية الإبداعية، ولم تعد مجرد أداة محايدة لنقل الحكاية، بل تحولت إلى طاقة تعبيرية قائمة بذاتها، وينفتح السرد الجزائري المعاصر على آفاق تجريبية رحبة تتجاوز التقريرية المباشرة نحو تخوم الشعرية، لتصبح اللغة كائناً حياً ينبض بالانزياحات والصور البليغة.

وفي رواية (حق الجنون في بلد القانون) للكاتبة آية حفظ الله، تتشكل اللغة الشعرية كركيزة أساسية لتفكيك دواخل الشخصيات المنكسرة (لا سيما البطلة آنا) والموازنة بين قسوة الواقع وشفافية الحلم.

أولا: اللغة الشعرية

يقوم التجريب اللغوي على زحزحة الألفاظ عن مواضعها المألوفة لخلق دلالات جديدة عبر آليات المجاز، والاستعارة، والانزياح الدلالي، وهو ما يضفي على النص شحنة عاطفية وجمالية ترفع السرد إلى مرتبة الفن البليغ.

أ-الاستعارة والكناية

تقوم الكاتبة بالصور البيانية لا سيما الاستعارة والكناية، لنقل التجربة النفسية المعقدة للشخصيات وتجسيد الاغتراب الوجودي.

أ-1-استعارة الطبيعة والكناية

تلجأ الكاتبة إلى إسقاط حالات الحزن والانكسار الإنساني على عناصر الطبيعة والمحيط، مستعيرةً صور البرد، الجليد، والعواصف لتعكس جفاء المجتمع الغربي وقسوتّه، كقول الراوي

واصفاً حالة الصراع الداخلي:

(عن انكسار النفس لمواجهة برد قارص يخادع، وعواصف وجليد حقيقي وبين ما بالخارج المنهد، حرارة بشرية خادعة بألسن تخرق نظامك الداخلي تماماً) [1]

وتجسد هذه الاستعارة عمق الهوة بين الدفء الإنساني المتخيل وبرودة القوانين الغربية.

وتتجسد الكنايات البليغة في ثنايا الوصف الحركي للشخصيات، حيث تدل التفاصيل المادية على حالات معنوية عميقة كالضياع وخيبة المسعى، ومثال ذلك توصيف حالة التعب والمكابرة المنكسرة عند البطلة:

(سدا... مكابريت وقويت تلك راحت سدا، انطالقا من القطرة التي أفاضت الكأس، مرورا بحروف مني بسيطة وعندهم كالفأس) [2]

أ-2 الانزياحات الدلالية وتكثيف الصورة الشعرية

يتحقق التجريب البليغ عبر الانزياح؛ أي انتهاك أفق التوقع اللغوي المعتاد لإنتاج صور تخييلية مبتكرة تدهش القارئ وتوسع طاقات النص التأويلية.

أ-2-1 الانزياح التركيبى والمجازي

تزخر الرواية بجمل منزاحة دلالياً، حيث تُربط مفردات غير متجانسة ظاهرياً لتوليد شعرية خاصة تتناسب مع حالة الجنون الواعي التي تعيشها البطلة، كقولها في وصف حالة الهروب والتيه:

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 9
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 18

(أنا المختل الهارب من كل بياض، حتى بياض مئزر طبيب نعل، نعم، أنا الباحث عن سواد الليل بجل دقائق أيامي) [1]

يمثل الجمع بين بياض المئزر (رمز السلطة الطبية والقانونية) وسواد الليل انزياحاً دلالياً يعلي من قيمة العتمة والمهمشين في مواجهة زيف المؤسسات.

أ-2-2 تكثيف الصورة البصرية والرمزية

تتحول الكلمات تحت قلم آية حفظ الله إلى لوحات بصرية مشحونة بالرمز، حيث تتلاحق الصور المكثفة لترسم معالم الصراع الأبدي بين الهوية والضياع، كما يتضح في تشبيه الذاكرة المبعثرة بأوراق الخريف:

(أتعلم أن نظراته الوحيدة تلك نذرت كأوراق الخريف على زوايا ذاكرتي) [2]

يختزل هذا التكثيف الشعري آلام الفقد في صورة بصرية واحدة شديدة التأثير.

ب-الإيقاعات الداخلية

تستمد اللغة الشعرية نغميتها من الإيقاع الداخلي المتمثل في التوازي، والتجانس الصوتي، وتقطيع الجمل، فضلاً عن الانفتاح على نصوص تراثية ومقدسة تمنح اللغة أبعاداً ملحمية.

ب-1 الإيقاع الداخلي والتوازي النثري

على الرغم من أن العمل رواية، إلا أن أسلوب السرد ينزاح أحياناً نحو إيقاع شبيه بالنظم الشعري أو النثر الساجع المعتدل، مما يخلق جرساً موسيقياً يطرب الأذن ويرسخ المعنى في وجدان القارئ.

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 55
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 58

ب-1-1 التوازي النحوي والدلالي

تعتمد الكاتبة على تقنية التوازي بين الجمل والتراكيب، مما ينتج تناغماً إيقاعياً يشد انتباه المتلقي ويضاعف من الشحنة الانفعالية للنص، كقول البطلة في مناجاتها:

(فراغي رسم دوي النحل مقطوعة موسيقية تخرجني، من عمق دارك أبي، إلى أوهام بذكرياتي المنسية، أحالم زينت ماضيا) [1]

يخلق هذا التوازي شبه الموسيقي تدفقاً شعرياً عذباً ينساب برفق داخل السرد.

ب-1-2 التجانس الصوتي والجرس الموسيقي الخفي

تتألق لغة السرد بحروف صامتة ومصوتة متجانسة تخلق جناسات ناقصة وإيقاعات خفية، مما يعزز البعد النفسي الحزين للشخصيات، ومثال ذلك:

(فما هذا سوى تيهان بني أحلامي، نعم... أنا المختل الهارب من كل بياض) [2]

يعمق هذا الجرس الصوتي التوتر الدرامي ويجعل القارئ يعيش الإيقاع النفسي للشخصية المأزومة.

ب-2 التناص اللغوي والتشابك الأسلوبي

تغتني اللغة الشعرية في الرواية عبر استدعاء البنى اللغوية التراثية والدينية والمصطلحات الأجنبية، مما يخلق لغة هجينة ومتباينة تعكس واقع التثقف والاغتراب.

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 32
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 55

ب-2- 1استدعاء التراث اللغوي الديني

تتداخل في لغة السرد نبرة المناجاة الصوفية والدينية، مستفيدة من بلاغة القرآن الكريم وكتب الأدعية، مما يضفي على النص قدسية تتباين مع قسوة العالم المحيط. ومثال ذلك استدعاء روح المناجاة:

(رَبّي أجاب دعوتي، وجعل لي منك سنداً يحييني، سعيدة لرؤيتك مجددا) [1]

يمنح هذا الانخراط اللغوي في المعجم الديني البطلة طاقة روحية لمقاومة الإحباط.

ب-2-2 التعدد اللساني وامتزاج اللغات

تتميز لغة الرواية بانفتاحها على لغات أخرى (كالفرنسية والهولندية) في إطار الواقعية المكانية، لتعكس أزمة المهاجر الذي يعيش ممزقاً بين لغته الأم ولغة المهجر، كقول الطبيبة تيلدا م خاطبة آنا بلغة فرنسية:

(Maintenant après notre long silence je vous dis bonsoir ma chère TILDA je me suis présenté à vous ?) [2] .

إن الاشتغال على اللغة الشعرية في رواية (حق الجنون في بلد القانون) يعكس براعة من قبل الكاتبة آية حفظ الله في تطويع النثر الروائي ليتشرب روح الشعر، لقد أثبتت الكاتبة أن الانزياحات اللغوية والصور الاستعارية المكثفة كانت الأداة الأعمق للتعبير عن تيه الإنسان في المهجر وصراعه مع مؤسسات الغرب، بهذه اللغة الشعرية الرقيقة والقوية في آن واحد.

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 93
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 25

ثانيا: آليات التناص والاستعارة

يُقصد بالتناص حضور نص غائب أو أكثر داخل النص الحاضر، مما يضفي عليه طبقات دلالية جديدة ويغني طاقته التفسيرية. وقد وظفت الكاتبة التناص بوعي حاد يتوزع بين المرجعية الدينية والثقافية العالمية.

أ- التناص الديني

يشكل التراث الديني رافداً أساسياً من روافد الخطاب السردي المعاصر، لما يحمله من حمولة دلالية ورمزية راسخة في الوجدان الإنساني، توظفها الكاتبة للتعبير عن عمق الألم والرجاء.

تستحضر الكاتبة آيات قرآنية كريمة تتقاطع مع حالات الانكسار والرجاء التي تعيشها الشخصيات، فنجد استشهاداً صريحاً في الصفحة 99 من الرواية بآيات الدعاء والاستجابة لبعث طاقة الأمل في روح القارئ والبطلة، كقوله تعالى:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ)[1]

يمنح هذا التناص النص أبعاداً روحية تعمق من مأساوية الاغتراب وتبرر تعلق الشخصيات بالسماء حين يوصد باب الأرض.

إلى جانب المرجعية الإسلامية، يمتد التناص ليشمل أسفار الإنجيل، متلائماً مع جغرافية الرواية الأوروبية (هولندا وفرنسا) وحيرة البطل كلير بين الأديان، حيث نجد استدعاءً لصلوات العذراء ومقاطع من إنجيل يوحنا:

[1] سورة البقرة، الآية 186

(...وهو نفسه ما جاء بالإنجيل يوحنا الذي قال فيه المسيح: إنِّي أصعْدُ إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم...)[1]

يعكس هذا التناص المزدوج رغبة الكاتبة في ترسيخ فكرة الإنسانية الجامعة التي تتجاوز ضيق الطوائف نحو رحاب الإيمان المطلق.

أ- 2التناص الأدبي والثقافي

تتأتى ثراء البنية الروائية أيضاً من خلال حوارها مع أعلام الفكر والأدب العالمي، واستدعاء الشخصيات الفنية والتاريخية التي تضفي عمقاً ثقافياً على الأحداث.

أ-2-1 الحوار مع الوجودية والأدب العالمي

تفتتح الكاتبة فصول ومقاطع الرواية بتناصات صريحة مع رموز الفكر العالمي مثل ألبير كامو، لتأطير عبثية الوجود الإنساني في المهجر، كقول كامو في فاتحة إحدى الرسائل:

(صدقني ليس هناك أمل عظيم ولا ندم ولا ذكريات، كل شيء ينسى حتى الحب العظيم) [2]

يساهم هذا التناص الوجودي في تهيئة أفق التوقع لدى القارئ لطبيعة الصراع الوجودي الذي تخوضه البطلة.

أ-2-2استدعاء الرموز الفنية والتاريخية

يتجلى التناص الثقافي أيضاً في استدعاء لوحات تشكيلية عالمية (كلوحات رامبرانت وفيرمير في المتاحف الهولندية) وأسطورة ديدالوس، لتعكس حالة التايه والمتاهة الفكرية، فنجد الراوي يصف شعوره:

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 117
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 13

(لكنها رميت به في تيه ديدالوس فلم يستطع الخروج من متاهة الأوهام) [1]

تؤكد هذه الشواهد على سعة أفق الكاتبة وثقافتها الواسعة في تطويع المرجعيات العالمية لخدمة نصها المحلي.

الاستعارة

لا تقف الاستعارة في رواية (حق الجنون في بلد القانون) عند حدود الوظيفة الجمالية البلاغية البحتة، بل ترتقي لتغدو ركيزة معرفية يرى من خلالها العالم وتتجسد عبرها الهوية الممزقة.

أ- استعارة المكان والجسد

تقوم الكاتبة بالاستعارة لتجسيد ثنائية الداخل والخارج، حيث يتحول الجسد البشري وفضاءات المدينة إلى استعارات كبرى تعبر عن التمزق بين الوطن والمنفى.

أ-1 استعارة الجسد

يُعامل الجسد في السرد كاستعارة حية للوطن المسلوب والجروح التاريخية، فالراوي يصف ملامح آنا المتشحة بالحزن والجمال العربي المناهض للقهر:

(رموشها معابر أغلقها العرب على فلسطين الأبية، أما وجهها فبياضه بياض قريشي ارتقى فتمردا) [2]

هنا تتحول ملامح الوجه البشري إلى استعارة كبرى تحيل على الجغرافيا العربية المنكوبة.

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 41
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 25

أ-2 استعارة المكان

تتحول الأمكنة في الرواية (المصحة النفسية، الشوارع الباردة، قبو الأسرار) إلى استعارات وجودية تدل على السجن الداخلي، فالمصحة ليست مكاناً للعلاج فحسب، بل هي استعارة لرفض المجتمع لكل ما هو مختلف وخارج عن النظم القانونية الباردة:

(دخلت إلى الغرفة التي كبلوا بها نفسها، فهي غرفة بيضاء كبيرة بها سرير مغلف بلحاف أبيض...) [1]

تجسد هذه الاستعارة المكانية قسوة المؤسسة القانونية والطبية الغربية.

ب-الاستعارة المفاهيمية (الجنون في وجه القانون)

تعد ثنائية الجنون والقانون البؤرة الدلالية الكبرى للرواية، حيث تشكل الاستعارة المفاهيمية الأساس الذي ينهض عليه العنوان والخطاب الروائي برمته.

ب-1 استعارة الجنون

في مقابل القانون الذي يرمز إلى الجمود والبرود المؤسساتي الغربي، يُستعار الجنون في النص لاختراق هذا الجمود، ليكون هو الرؤية الأكثر صدقاً وانسجاماً مع الطبيعة الإنسانية المجروحة، ومثال ذلك في تشخيص حالة البطلة: (...زعموا أنها عجوز خرقاء منتهية وتلك هي الحال التي رأيتها عليها فور وصولها، أنها تستنزف قوى لتغطي الشمس بالغربال وتناسى هذا الحال، باستحضار آلهة الحب والجمال) [2] هنا تصبح محاولة البطلة التشبث بالأسطورة والجمال استعارة لرفض الواقع القانوني البحت

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 24
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 14

ب-2 استعارة بلد القانون

يحمل عنوان الرواية (حق الجنون في بلد القانون) استعارة مركبة تفكك زيف الحضارة الغربية؛ فـ بلد القانون الذي يدعي العدالة والحرية، يتحول في النص إلى سجن واسع يخنق الروح ويحاكم العاطفة والذاكرة. وتتجسد هذه الاستعارة في صراعات الشخصيات الدائمة مع إدارات المصحات والمجتمع:

(فغدا من سجن هؤلاء سننفذ وبسجن الذل سنسجن) [1]

وبهذا تتقاطع الاستعارة الكبرى مع التناص لتنتج خطاباً نقدياً لاذعاً للحضارة الغربية ومؤسساتها.

إن توظيف آية حفظ الله لتقنيات التناص والاستعارة يبرز ثقافة نصية عالية وقدرة متميزة على الحفر في طبقات المعنى. لم يكن استدعاء النصوص المقدسة والأدبية مجرد تزيين خارجي، بل جاء ملتحماً بعمق الأزمة الوجدانية للشخصيات.

وبالمثل نجحت الاستعارات المفاهيمية والمكانية في نقل القارئ من الحكاية البسيطة إلى فضاء التأمل الفلسفي والوجودي، مما يثبت أن الرواية الجزائرية المعاصرة قادرة على استنطاق التراث والواقع بآليات جمالية متقدمة ومرهف

4/مظاهر التجريب في الطرح الفلسفي والفكري

تتجاوز الرواية المعاصرة وظيفتها الحكائية التقليدية لتغدو فضاءً فكرياً وفلسفياً يعيد طرح الأسئلة الكبرى حول الوجود، الهوية، العدالة، وموقع الإنسان في عالم ترسمه قوانين معقدة.

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 67

وفي رواية (حق الجنون في بلد القانون) للكاتبة آية حفظ الله، يرتسم الطرح الفلسفي بوضوح حاد، حيث لا يعود السرد مجرد ترف أدبي، بل يصير رؤية متكاملة للعالم تصطدم فيها ثنائيات الشرق والغرب، والجنون والقانون، والذاكرة والنسيان. ويهدف هذا الفصل إلى مقاربة رؤية العالم في الرواية عبر تفكيك الأبعاد الفكرية والوجودية المؤطرة للنص.

أولا: القيم الفكرية (البعد الفلسفي والوجودي)

تنهض البنية الفكرية للرواية على تساؤلات وجودية عميقة تمس جوهر الكارثة البشرية في العصر الحديث، حيث يواجه الإنسان قسوة بلد القانون الذي يختزل الروح في نصوص جافة، ليبرز الجنون كخيار وحيد للحفاظ على ما تبقى من إنسانية الفرد.

أ-أزمة الاغتراب والبحث عن الذات

يُعد الاغتراب السمة الغالبة على شخوص الرواية، لا سيما بطلتها آنا والشخصيات المرتبطة بها في المهجر، حيث يتجسد التيه الإنساني في أقصى صور الإحساس بالعدم والإنكار.

أ-1 الاغتراب المكاني والروحي في المهجر

تعيش الشخصيات حالة من التمزق الحاد بين جذورها المشرقية والجزائرية وبين قسوة المناخ الأوروبي البارد؛ فالاغتراب هنا ليس مكانياً فحسب، بل هو اغتراب كياني عميق يفقد فيه الإنسان معالم مرجعيته. ومثال ذلك شعور آنا الدائم بالتيه والبحث عن سؤال الوجود:

(أين الأمان؟ أين الأحلام؟ وأين نحن؟)[1]

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 15

تعكس هذه التساؤلات الوجودية حجم التخبط الذي تعيشه الذات العربية وهي تحاول البحث عن مكانة لها في عالم لا يعترف بخصوصيتها.

أ-2 صراع الذاكرة والنسيان

تتأتى أزمة الاغتراب من صراع مرير تخوضه البطلة بين رغبتها في نسيان ماضي المأساة وبين إكراهات الذاكرة التي تطاردها كطيف لا يبرح. وتظهر رؤية العالم هنا محكومة بهاجس البحث عن الهوية المفقودة عبر شظايا الذكريات:

(...فكيف سأتهيئ؟ صلاة المغرب حدها الغروب وقتها يبدأ بغروب الشمس وينتهي بغروب الشفق، تأخرنا على موعدنا) [1]

يبرز هذا المشهد كيف تحاول الشخصيات التشبث بطقوسها وهويتها في مواجهة طوفان الذوبان والعدم.

ب-مفارقة الجنون في مواجهة القانون

يطرح العنوان المركب للرواية (حق الجنون في بلد القانون) إشكالية فكرية وفلسفية كبرى تتعلق بعدالة القوانين الوضعية الحديثة التي تسحق الإنسان بحجة التنظيم والعقلانية، مما يعطي للجنون شرعية مطلقة بوصفه أداة للدفاع عن الوجود.

ب-1 نقد العقلانيّة الغربية

تعكس المصحات النفسية والأطباء في الرواية (مثل تيلدا وسريل) سلطة العقل الغربي المادي الذي يفسر كل انكسار إنساني باعتباره مرضاً عقلياً يجب حجزه وعلاجه، متجاهلاً الجذور

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 117

السياسية والتاريخية للوجع العربي. وتتجلى هذه المفارقة في إصرار المؤسسة على تصنيف البطلة:

(إنها أول مرة تعجز فيها تيلدا عن إخراج نفس مريض بين يديها من النظرة الأولى، لكنها وصلت إلى درجة من التيقن بأن مرضيتها ترث ألما ثمينا من فرنسا ولن تصل معها إلى نتيجة أبدا) [1]

يكشف هذا الموقف عن رؤية نقدية لسلطة المؤسسة التي تحاكم الضحية وتبرئ الجلاد.

ب-2 الجنون

في مقابل القانون الذي يشرعن الاستغلال والظلم (مثل شخصيات ليديا وبول روهان)، يرتسم الجنون في الرواية كفضاء للصدق والرفض المطلق. فالبطلة لا تمارس الجنون تخبطاً، بل تمارسه وعياً واحتجاجاً على عالم فقد بوصلته الأخلاقية. وتتضح هذه الفلسفة في قولها:

(فالجنون هنا ليس سوى قناع نرتديه لكيلا نختنق برائحة زيفكم الممنهج في شوارع القانون) تؤكد هذه الثنائية أن الجنون هو الملجأ الأخير للإنسان السوي في عالم متوحش.

ج -رؤية الهوية

تُعالج الرواية مفهوم الهوية لا باعتباره قالباً أحادياً منغلقاً، بل باعتباره فسيفساء إنسانية غنية تتسع لكل الجراح العربية، وهو ما يتجلى في إعلان البطلة لانتمائها الجامع.

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 27

ج-1 الهوية العربية

تعلن البطلة انتماءها لكل الأوجاع العربية، مستلهمةً وحدة المصير والنضال، وهو ما يتجسد في صرختها الهوياتية الصادقة:

(فالروح فلسطينية، والزند سوري، أرضي جزائرية، والعرق عراقي، لهجتي تونسية، ودمي ثوري مصري، لذا احتللت ونفيت) [1]

تجسد هذه الفقرة رؤية فكرية تنظر إلى العالم العربي كجسد واحد تتوزع آلامه عبر الحدود، مما يعطي للرواية أبعاداً قومية وإنسانية واسعة.

ج-2 التاريخ والذاكرة الجمعية في تشكيل الوعي

لا تكتفي الرواية بالجانب النفسي والفردي، بل تغوص في الذاكرة الجمعية والتاريخ السياسي للوطن العربي (خصوصاً الجزائر ومآسيها)، رابطةً بين مصير الفرد وتحولات التاريخ الكبرى.

ج-2-1 استحضار الذاكرة التاريخية والوطنية

تتسلل الأحداث التاريخية والسياسية (مثل سنوات الأزمة في الجزائر وفترات الاحتلال والاستثمار الفاسد) لتشكل الخلفية الحقيقية لخراب البيوت وتشريد العائلات، كما تروي وثائق الملكية والشهادات:

(شهادة وفاة تحمل اسم عمروس محمد المتوفي بتاريخ 15 نوفمبر 1995 إضافة إلى مجموعة من الوثائق، أملاك أراض وعقارات بالجزائر) [2]

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 32
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 128

تربط الكاتبة هنا بين الخراب الذاتي والخراب التاريخي، مرسّخة رؤية تفيد بأن جراح الأفراد هي امتداد لجراح الوطن.

ج-2-2 الأمل

تُتوج الرواية رؤيتها للعالم بنهاية تؤكد على حتمية البعث والانبعاث؛ فبعد رحلة التيه والمصحات والجنون، تعود البطلة إلى جذورها لتبني ذاتها من جديد روائيةً ومبدعة، مؤكدة أن الهوية ليست قدراً محتوماً بالهزيمة، بل هي مسار دائم للاكتشاف والمقاومة:

(أصبحت آنا العصامية روائية تناولت أول رواياتها تفاصيل حياتها فكانت رواية سير ذاتية بعنوان: من أنا؟) [1]

تعبر هذه الخاتمة عن رؤية متفائلة تؤمن بقدرة الإنسان على تجاوز محنته وتحويل الألم إلى إبداع.

يمثل الطرح الفلسفي والفكري في رواية (حق الجنون في بلد القانون) لآية حفظ الله عمودها الفقري الذي ترتكز عليه جماليات السرد. لم تكن الكاتبة مهتمة بسرد حكاية بوليسية أو رومانسية تقليدية، بل كانت مشغولة بتفكيك الفلسفة الغربية القائمة على المادية والقانون الجاف، في مقابل إعلاء شأن الجنون الإنساني النبيل والتمسك بالهوية والذاكرة العربية.

إن عمق الأسئلة المطروحة حول الوطن والمنفى والعدالة يجعل من هذا النص عمقاً فكرياً يستحق الوقوف عنده طويلاً في دراسات النقد الثقافي والفلسفي

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 143

ثانيا: القيم الاجتماعية في الرواية

لا ينفصل الفكر عن الواقع الاجتماعي في الرواية، بل يتقاطعان لتشكيل لوحة قاتمة عن التصدعات التي أصابت منظومة القيم الأخلاقية والأسرية، سواء في البيئة العربية المأزومة أو في المهجر الغربي.

أ- جشع المال

يتضح هذا بوضوح في شخصية (ليديا دريد) وما اقترفته من جرائم طالت حتى جذورها الأسرية من أجل الاستحواذ على الميراث والعقارات، متجردة من أية مشاعر أمومة أو إنسانية، وهو ما يظهر في وثائق الملكية التي تكشف حجم المؤامرة [1]

ب- انعكاس التفكك الأسري على الأبناء

تتحمل الشخصيات مثل (آنا)، وزر أخطاء الكبار وجشعهم؛ إذ يؤدي التفكك الأسري والحروب الأهلية إلى تشرد الطفولة وضياع الهوية، لتجد الفتاة نفسها وحيدة في مواجهة مصير قاسٍ ومجتمع لا يرحم الضعفاء [2]

ج-أصالة القيم الشعبية

من خلال استدعاء البيئة الجزائرية الفطرية وأجواء التضامن البسيط بين البسطاء، تقدم الكاتبة نقداً مبطناً للمجتمعات التي تبنت القوانين الغربية الجافة وفقدت دفء روابطها الإنسانية.

إن المطاعم الشعبية المجانية، وروح التكافل بين الجيران، تمثل نقيضاً حياً للرأسمالية[3]

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 126
[2] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 108
[3] آية حفظ الله، نفس المرجع، ص 102

د-الروابط الإنسانية

تتجلى هذه القيم في نهاية المطاف حين تتوحد قلوب الشخصيات (مثل كايلر وجوزيف وروهان) حول قضية (آنا)، محاولين ترميم ما كسره الزمن والمجتمع، مما يثبت أن الروح الإنسانية قادرة على الانبعاث رغم قسوة الجراح [1]

نجحت الكاتبة في تسليط الضوء على إشكاليات الاغتراب، وتصدع القيم الأسرية، وصراع الهوية بين الشرق والغرب، وقد اتضح من خلال التحليل أن القيم الفكرية تمحورت حول إعادة الاعتبار للذات المنسية عبر بوابة الجنون الواعي، بينما تجسدت القيم الاجتماعية في رصد صراع الأخلاق والمادة، مما جعل النص وثيقة أدبية ناطقة بهموم الإنسان المعاصر.

[1] آية حفظ الله، نفس المرجع السابق، ص 142

خاتمة

الخـاتمـة

شهد المشهد الروائي الجزائري المعاصر تحولات عميقة ومتسارعة، تمخضت عن رغبة جادة لدى المبدعين في كسر القوالب الكلاسيكية السردية، والانفتاح على آفاق جمالية ومعرفية جديدة تتجاوز السائد والمألوف. وفي هذا السياق، جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ: مظاهر التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة –حق الجنون في بلد القانون لأية حفظ الله أنموذجا لتسلط الضوء على أحد الأعمال الروائية التي تفجّر الطاقات اللغوية والبنائية، متخذة من تقنيات التجريب أدوات لفك ومساءلة الواقع النفسي والاجتماعي والمعرفي.

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة الإجابة عن الإشكالية المتعلقة بكيفية تجلي ملامح التجريب في رواية حق الجنون في بلد القانون، وما هي الآليات الفنية والدلالية التي اعتمدتها الكاتبة (آية حفظ الله) لكسر رتابة السرد الخطي التقليدي والانتقال بالنص من الحكاية البسيطة إلى فضاء التأمل الفلسفي والوجودي.

النتائج:

يمكن تلخيص هذه النتائج في المحاور الآتية:

–تخلت الكاتبة عن التعاقب الكرونولوجي (الطبيعي) للأحداث لصالح تشكيلات تجريبية متطورة تعكس تشتت الشخصيات واضطراب الذاكرة.

– ظهر بوضوح توظيف تقنيات الاسترجاع السردي للغوص في عمق الذاكرة واستدعاء مأساة الطفولة والماضي المؤلم (كاستجابة لحالة الاغتراب في المنفى الأوروبي)، وتقنية الاستباق لخلق أفق توقع يربط بين مصير الشخصية والمجهول.

– منحت الرواية استقلالية للشخصيات (لا سيما البطلة آنا) اللغوية والإيديولوجية عبر تفعيل المونولوج الداخلي (التيار الوعي والتداعي الحر)، مما جعله أداة رئيسة لتعرية الذات ونقل الصراع النفسي الداخلي المتأزم.

– تماهى الزمن الفيزيقي الموضوعي مع الزمن النفسي الداخلي للمهووسين بالمنافي والجنون، لتصبح الساعات والأيام تفقد دلالاتها الموضوعية لصالح الانعكاس الوجداني والاضطراب الذاكراتي.

– تحولت اللغة في الرواية إلى طاقة تعبيرية قائمة بذاتها، تنبض بالانزياحات الدلالية والتركيبية والمجازية (مثل تقاطع بياض المئزر مع سواد الليل دلالياً على قهر المؤسسات).

– نجحت الكاتبة في تحويل الكلمات إلى لوحات بصرية رمزية (كتشبيه الذاكرة بأوراق الخريف المبعثرة)، مما يختزل آلام الفقد والاغتراب في صور شديدة التأثير.

– حضرت الإيقاعات الداخلية المتمثلة في التوازي النحوي والدلالي، والجرس الموسيقي الخفي، فضلاً عن التعدد اللساني (امتزاج العربية بالفرنسية والهولندية)، واستدعاء التراث اللغوي الديني (نبرة المناجاة والصوفية)، مما خلق لغة هجينة ومتباينة تعكس واقع التثقف والاغتراب.

– وظفت الكاتبة آيات قرآنية كريمة إلى جانب محاورات صريحة مع رموز الفكر العالمي الوجودي (مثل ألبير كامو)، مما أغنى النص بطبقات دلالية ترفض ضيق الطوائف نحو رحاب الإنسانية المطلقة.

– مثلت ثنائية الجنون والقانون البؤرة الدلالية الكبرى للرواية؛ ففي مقابل الجمود والبرود المؤسساتي الغربي الذي يمثله بلد القانون والذي يسحق الإنسان بحجة التنظيم والعقلانية،

يبرز الجنون كأداة دفاع واحتجاج وجودي وأخلاقي لرفض الواقع الزائف.

– تحولت الأماكن (المصحّة النفسية، الشوارع الباردة، قبو الأسرار) إلى استعارات وجودية تدل على السجن الداخلي، كما عُومل الجسد البشري كاستعارة حية للوطن المسلوب والجروح التاريخية للوجدان العربي.

– عكست الرواية حالة التمزق الحاد بين الجذور المشرقية والجزائرية وبين قسوة المناخ الأوروبي البارد، متناولة صراع الذاكرة والنسيان.

– كشفت الرواية زيف المؤسسات العلاجية والقانونية الغربية التي تفسر كل انكسار إنساني على أنه مرض عقلي، وفي المقابل أعلنت بطلة الرواية انتماءها الفسيفسائي الواسع لكل الجراح العربية (فلسطين، سورية، الجزائر، العراق، تونس، ومصر).

– رصدت الرواية مظاهر جشع المال (طمع ليديا دريد في الميراث على حساب الروابط الأسرية)، وانعكاس التفكك الأسري على الأبناء، مقابل استدعاء أصالة القيم الشعبية الفطرية (كالتكافل بين الجيران والمطاعم المجانية) كقيض نقيض للرأسمالية الغربية الجافة.

آفاق مستقبلية:

–إن الانفتاح الدلالي والجمالي الذي طبع رواية حق الجنون في بلد القانون لآية حفظ الله، فضلاً عن اتساع أفق التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة، يجعل النص مقترحاً خصباً لدراسات نقدية مستقبلية متعددة الزوايا. ومن أبرز الآفاق التي يمكن للباحثين ارتيادها مستقبلاً نذكر ما يلي:

–يمكن فتح أفق بحثي يدرس مدى تجليات الصراع المركز/الهامش، وثنائية الشرق والغرب، وكيفية تفكيك الخطاب الاستعماري الكامن في المؤسسات الغربية (المصحات والمحاكم) من منظور سوسيولوجيا الثقافة.

-نظراً لاعتماد الرواية على آليات الهلوسة، الجنون، وتيار الوعي، يمكن إنجاز دراسة عميقة متخصصة في تحليل العقد النفسية، وصدمات المنفى، وآليات الكبت والبوح عند الشخصيات المأزومة وفق منظور فرويدي أو لاكاني.

-دراسة الأفق المعرفي والجمالي للمتلقي الجزائري والعربي أمام نص تجريبي مغرق في الغموض والتشظي، وكيف يساهم القارئ في بناء المعنى وملء البياضات السردية التي تركتها الكاتبة.

-فتح أفق لمقارنة مظاهر التجريب والاشتغال على ثيمة المنفى والجنون بين رواية حق الجنون في بلد القانون لآية حفظ الله وبين نصوص روائية نسوية جزائرية معاصرة أخرى هاجرت حروفها نحو الغرب (مثل أعمال أحلام مستغانمي أو فضيلة ملحاني)، لرصد التحولات الجمالية والفكرية في الخطاب الروائي النسوي المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر المراجع:

المصادر:

القران الكريم

آية حفظ الله، حق الجنون في بلد القانون، رواية، دار كالما للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2022

المراجع:

الكتب العربية:

إدوار الخراط، الرواية العربية واقع وآفاق، دار ابن رشد، بيروت، 1981.

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، 2005.

آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية، من المتماثل إلى المختلف، دار الاختلاف، الجزائر، 2011.

إميل زولا، الرواية التجريبية، ترجمة وتقديم نقدي في الفكر الحديث، دار الكتاب، القاهرة.

برادة محمد، الرواية العربية ورهان التجديد، دار الصدى، الشارقة، 2011.

بوشوشة بن جمعة، التجريب وارتعاشات السرد الروائي المغاربي، المطبعة المغاربية، تونس، ط1، 2003.

حالب نور الهدى، التجريب الروائي في الرواية النسوية الجزائرية، حوليات الآداب واللغات، أكاديمية علمية–تاريخية–محكمة، المجلد 5، عدد 11، جامعة محمد بوضياف، المسيلة (الجزائر)، 2018.

حفيظة مخلوف، الرواية الجزائرية من الثورة إلى العنف، مجلة المعيار، جامعة مولى الطاهر، الجزائر، ع 10، 2014.

حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1993.

رشا أبو شنب، التجريب في روايات واسيني الأعرج، مجلة الآداب واللغات، جامعة المسيلة، مجلد 2018، ع 5.

صلاح فضل، لذة التجريب الروائي، أبلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، ط1، 2005.

عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1830–1974)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974.

عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية –بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

فهمي أحمد فوزي، التجريب وتمايز الثقافات، مطابع المجلس الأعلى للآثار، مصر، 1998.

محمد أمصور، خوائط التجريب الروائي، مطبعة أنفوبرانت، فاس، ط1، 1999

محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الجزائر، 1983.

مصطفى الصاوي الجويني، في الأدب العالمي، القصة والرواية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1959.

واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

يقطين سعيد، القراءة والتجربة، حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.

المجلات:

فاطمة هرمة، ملامح التجريب في الرواية الجزائرية –نماذج مختارة، مجلة مدارات في اللغة والأدب، مركز مدارات للدراسات والأبحاث، المجلد 01، العدد 01، جامعة غرداية، الجزائر، 2018.

العلوي موالي مروان وآخرون، سؤال التجريب في الرواية العربية: من متاهة العنوان إلى متاهة التأويل، أعمال المؤتمر العربي الثاني للرواية العربية، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، 2018.

الفهرس

العنــوان	الصفحة
شكر وتقدير	
إهداء	
مـقدمة	أ-هـ
الفصل الأول: التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة.	
تمهيد	07
1. مفهوم التجريب لغة واصطلاحا	08
2. مفهوم التجريب الروائي	12
أولا: التأصيل الدلالي والمفهومي للتجريب الروائي	12
3. مفهوم الرواية لغة واصطلاحا ومفهوم الرواية الجزائرية المعاصرة وتطورها	14
أولا: مفهوم الرواية لغة واصطلاحا	14
ثانيا: مفهوم الرواية الجزائرية المعاصرة وتطورها التاريخي	15
4. أهمية التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة	17
الفصل الثاني: مظاهر التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة حق الجنون في بلد القانون آية حفظ الله نموذجا	
تمهيد	21
1. ملخص الرواية	22
2. مظاهر التجريب في البنية السردية	24
أولا: تقنيات السرد	26
ثانيا: الزمن الروائي	32
2. مظاهر التجريب في اللغة والشكل	33

أولا: اللغة الشعرية	37
ثانيا: آليات التناص والاستعارة	37
3. مظاهر التجريب في الطرح الفلسفي والفكري	42
أولا: القيم الفكرية (البعد الفلسفي والوجودي)	43
ثانيا: القيم الاجتماعية في الرواية	48
خاتمة	51
قائمة المصادر والمراجع	56
الفهرس	60
الملخص	62

الملخص:

تهدف هذه المذكرة إلى دراسة مظاهر التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة، من خلال رواية «حق الجنون في بلد القانون» للروائية آية حفظ الله، للكشف عن أهم التقنيات الفنية والجمالية التي اعتمدتها الكاتبة في بناء النص الروائي، وذلك باستخدام المنهج الوصفي التحليلي.

وقد تناولت الدراسة مفهوم التجريب وعلاقته بتطور الرواية الجزائرية المعاصرة، ثم ركزت على تحليل الرواية من خلال دراسة بنيتها السردية وتقنياتها الفنية، مثل كسر التسلسل الزمني، وتوظيف الاسترجاع والاستباق، وتعدد الأصوات، والمونولوج الداخلي، إلى جانب اللغة الرمزية.

كما كشفت الدراسة عن معالجة الرواية لقضايا إنسانية واجتماعية، أبرزها الجنون والهوية والاغتراب والتفكك الأسري، مؤكدةً أن التجريب يمنح الرواية الجزائرية المعاصرة إمكانات جديدة للتعبير عن الواقع وتجاوز الأساليب التقليدية في الكتابة السردية.

الكلمات المفتاحية :التجريب، التجريب الروائي، الرواية الجزائرية المعاصرة، آية حفظ الله، حق الجنون في بلد القانون، الهوية، البنية السردية.

Abstract

This thesis aims to study the manifestations of experimentation in contemporary Algerian fiction through the novel *Haqq Al-Junoun Fi Balad Al-Qanoun* (*The Right to Madness in the Land of Law*) by Aya Hafed Allah. It seeks to identify the main artistic and aesthetic techniques used by the author, adopting the descriptive-analytical approach.

The study examines the concept of experimentation and its relationship with the development of contemporary Algerian fiction. It also analyzes the novel's narrative structure and techniques, including non-linear chronology, flashbacks, foreshadowing, multiple narrative voices, and internal monologue.

Furthermore, the novel explores several human and social issues, particularly madness, identity, alienation, and family disintegration. The study concludes that experimentation plays an important role in renewing contemporary Algerian fiction, enabling writers to move beyond traditional narrative forms and express reality through innovative artistic techniques.

Keywords : Narrative experimentation, contemporary Algerian fiction, Aya Hafed Allah, *The Right to Madness in the Land of Law*, identity, narrative structure.